على انه «مصنع تجميع» كمصانع الشركات متعددة الجنسية، حيث تتخصص كل دولة بانتاج قطعة أو مجموعة قطع، يعاد تجميعها، كمنتج نهائي، في مكان ما من العالم؛ انه بالمعنى السياسي توازن المصالح، الذي يجب ان يأتي «كحل سياسي»، سواء جسّدته الدولة الفلسطينية المستقلة أم أي صياغة أخرى في حينه.

من السهل، هنا، استنتاج اذا كان النزاع العربي ـ الاسرائيلي قد بدأ يسلك مناحي جديدة بعد القرار الاميركي باقامة «حوار جوهري» مع المنظمة؛ فذلك لا يعني، بالطبع، ان ادارة الرئيس ريغان كانت معنية أكثر من غيرها من الادارات السابقة بهذا النزاع. غير ان للرئيس ريغان فضلاً كبيراً في ترجمة الخطط الاميركية بشأن مستقبل هذا النزاع، التي وضعت لمساتها في مطلع السبعينات. واذا عدنا سنوات الى وراء، نرى، وبلمحة سريعة، ان كل الادارات الاميركية، منذ الخمسينات، كانت تدخل في حساباتها النزاع العربي ـ الاسرائيلي؛ لا بل كانت تظهر نوايا طيبة تجاه العرب، انما دون ان تترجم هذه النوايا الى أفعال. وفي هذا الصدد، يجدر التذكير بتلك النوايا الطيبة، من «سلام الارض المقدسة» (تعبير جون فوستر دالاس)، الى «السلام العادل في الشرق الاوسط» (تعبير جون كنيدي)، الى «الرغبة في التفاهم» (تعبير ليندون جونسون)، الى «سياسة اليد المتوازنة» (تعبير وليام سكرانتون، نيابة عن ريتشارد نيكسون)، الى «أمن ورخاء كل الاطراف» (تعبير جيرالد فورد)؛ حتى الرئيس جيمي كارتر جلب معه أفضل النوايا، وملخّصها «ينبغي تأمين وطن للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا لسنوات عديدة».

غير ان هذه النوايا لم تكن تعني التزاماً من قبل الولايات المتحدة بأي صيغة لـ «كيان فلسطيني» أو «دولة فلسطينية». والعودة الى تصريحات شولتس، بعد صدور القرار الاميركي بالدخول في «حوار جوهري» مع ممثلين عن المنظمة، تؤكد حقيقة تلك النوايا. فقد ذهب الوزير الاميركي الى الاشارة الى ان صلاحية اقامة الحوار محصورة في شخص السفير الاميركي في تونس، روبرت بلترو، فهو «القناة الرسمية الوحيدة لاقامة الحوار»؛ كما أكد ان على منظمة التحرير الالتزام بتعهداتها لا سيما تلك المتعلقة بنبذ الارهاب، وان الموضوع الاول على جدول اعمال الحوار الاميركي مع المنظمة هو تعهد الاخيرة بهذا الالتزام؛ وأشار الى ان بدء الحوار لا يعني اعتراف الولايات المتحدة باعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، ولا القبول بها، وان الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة لا يمكن تقريره بعمل انفرادي من أي من طرفي النزاع، وانما عبر عملية التفاوض؛ ثم ان بدء الحوار هو «خطوة أخرى نحو بدء المفاوضات المباشرة بين الاطراف، والتي، وحدها، تؤدي الى السلام» حسب قول شولتس، الذي اعاد تأكيد هدف التوصل الى سلام «شامل» في المنطقة؛ كما ان بدء الحوار مع المنظمة لا يمس، اطلاقاً، «التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل»، وان للاخيرة آراءها وسياساتها، وانها أوضحت لواشنطن ان الشروط الاميركية لاقامة الحوار مع المنظمة ليست شروطاً اسرائيلية، وبالتالي، فانها ليست ملتزمة بها.

انطلاقاً من هذه المعطيات المتناقضة، من الصعب التنبؤ بما سوف يكون عليه الموقف الاميركي. فالرمال المتحركة في المنطقة تحول دون المخاطرة بأي تقدير. ولكننا نرى في بعض معالم السياسة الاميركية، كما تبدو لنا الآن، ان واشنطن قد بدأت تتكيف مع الوضع الجديد. والوضع الجديد هو مرحلة ما بعد تفجّر الانتفاضة التي شرعت الابواب للحل السياسي، بدليل اللغة السياسية المختلفة التي بدأ يستخدمها الطرف الاميركي، الذي بات يرى انه ينبغي الاستفادة من رد ع اسرائيلي محسوب ومحدد، مع التوصل، في الوقت عينه، الى اتقاء المخاطر الناجمة عن التأييد الاميركي المكشوف